علي رمضان أبوزعكوك:

رئيس مجلس إدارة منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسية

في حوار مع "أخبار ليبيا"

حول زيارته الخاطفة إلي ليبيا

أجرى الحوار : عاشور الشامس:

زيارتي كانت تأكيدا لحقي في العودة إلى وطني ـ الزيارة لم تكن سرية، وتحمل أبعادا سياسية ونضالية ـ منهجنا التدافع السلمي والحوار البناء والتواصل المّوار ـ الحريات وسيادة القانون والأمن والرفاهية مطالب مشروعة ـ الإصلاح عملية تستلزم مساهمة كل الليبيين.

بعد غربة تواصلت لمدة *27* عاما عاد الأستاذ علي رمضان أبوزعكوك خلال الأسابيع الماضية (أغسطس *2006*) إلى ليبيا في زيارة قصيرة. وإضافة إلى البعد الشخصي جاءت هذه الزيارة في إطار رحلة حياة حافلة بالنشاط والنضال وحب الوطن والحنين إليه. وفي هذه المقابلة يلقي الأستاذ علي شيئا من الضوء على ملابسات الزيارة وظروفها وأهدافها:

➢ **أ ل: متى كانت آخر زيارة لك لأرض الوطن قبل هذه المرة؟**

❐ أبوزعكوك: كانت آخر زيارة لي زيارة سريعة في سبتمبر *1979*، ولم تتعد إقامتي أياما معدودة وكانت تلك الأيام التي بدأت فيها حركة اللجان الثورية نشاطها التي أعلنت فيه الحرب على من أسمتهم (أعداء الثورة).

➢ **أ ل: هل يمكنك المقارنة بين الزيارتين بشكل عام؟**

❐ أبوزعكوك: الفرق بين الزيارتين شاسع، فقد كانت زيارتي سنة 79 زيارة توديع للأهل وللوطن، وكنت متوجسا من الجانب الأمني برغم أنني لم أكن وقتها قد أعلنت معارضتي للنظام رسميا رغم معرفة النظام بمواقفي الناقدة له. أما الزيارة الأخيرة فقد كانت لرؤية الأهل والوطن بعد فترة من الغربة قاربت 27 عاما. كما أن الزيارة الأخيرة وقعت بعد أن أصبح موقفي المعارض لنظام الحكم في ليبيا، ودعوتي للحكم الدستوري الديمقراطي والمناداة بالحريات العامة وحقوق الإنسان، معروفا داخل ليبيا وخارجها.

➢ **أ ل هل هناك أسباب موضوعية لغيابك عن الوطن طوال هذه المدة؟**

❐ أبوزعكوك: الأسباب التي جعلتني أتغيب عن وطني هذه المدة الطويلة عديدة منها:

- حرمان الإنسان من توفر المساحة التي تتيح له التعبير عن رأيه ومواقفه داخل وطنه. فبعد تبني النظام في السبعينيات للاتحاد الاشتراكي، المستنسخ عن التجربة المصرية، كوعاء وحيد للعمل السياسي في ليبيا، ثم الانتقال بعد ذلك الى تجربة اللجان والمؤتمرات الشعبية... لم يعد لصاحب الرأي الآخر أي مجال للتعبير عن رأيه في مجريات أمور وطنه بحرية وأمان، ناهيك عن اتهام أصحاب الرأي الآخر بالرجعية بل وتجريمهم طبقا لبنود قانون تجريم الحزبية.
- المشاركة العلنية في معارضة النظام سواء بدوري في تأسيس الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا أوائل الثمانينيات، أو كعضو باللجنة التنفيذية حيث انتخبت لعدد من المهام: منها المفوض الإعلامي وتأسيس ثم الإشراف على تحرير مجلة "الإنقاذ". تلى ذلك مشاركتي في تأسيس تحالف الأمريكيين الليبيين من أجل الحرية المعروفة بـ (ألـفا)، ثم المشاركة في تأسيس منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسية وتولي رئاسته.
- المواقف والتصريحات الصريحة في وسائل الإعلام العالمية التي تعبر عن نقدي لسياسات النظام الحاكم في ليبيا وعن دعوتي لإيجاد مجتمع ليبي يحكمه الدستور وتتوفر فيه حرية التعبير وحرية الحراك السياسي.

➢ **أ ل: ما هي أسباب وملابسات ودوافع زيارتك الأخيرة؟**

❐ أسباب: الدافع الأساس لزيارتي للوطن هو في الحقيقة تأكيد حقي كمواطن ليبي في العودة إلى وطني، والرغبة القوية لرؤية الأهل والأحباب (أو بتعبير أدق رؤية من بقي منهم على قيد الحياة)، خصوصا وأنني تحققت من توفر الأمن وحرية الحركة لي أثناء الزياة.

أما الملابسات المصاحبة لزيارتي فقد كانت في الحقيقة مرتبطة بالدعوات التي تلقيتها العديد من المرات من العقيد معمر القذافي لزيارة وطني، والتي حملها إلي العديد من القيادات والشخصيات الليبية ومن بينهم الأخ مفتاح كعيبة وسيف الإسلام القذافي.

➢ **أ ل: هل كانت الزيارة سرية، وهل كان توقيتها محسوبا ليتزامن مع خطاب سيف الإسلام في** 20 **أغسطس مثلا؟**

❐ أسباب: لا لم تكن الزيارة سرية، ولكنني لم أعلن عنها كذلك. وهي فكرة مطروحة منذ أكثر من سنة ونوقشت داخل مجلس إدارة المنتدى باستفاضة حيث تداولنا ظروفها وتداعياتها المتوقعة، إضافة إلى مدى ارتباطها ببرامج المنتدى وأهدافه.

أما قضية توقيتها فقد كان مرتبطا بحصولي على إجازتي السنوية من مركز دراسة الإسلام والديمقراطية الذي أعمل مديرا لمكتبه في واشنطن. ولا ادعي أن هناك ترتيبا لكي تتوافق هذه الزيارة مع خطاب سيف الإسلام الذي ألقاه في سرت في العشرين من أغسطس، ولو أن الكثير مما ذكره سيف الإسلام هو من صميم القضايا التي ينادي بها المنتدى ويتبناها.

➢ **أ ل: هل تعتبرها زيارة شخصية أم أن لها أبعادا وأهدافا أخرى... سياسية مثلا؟**

❐ أبوزعكوك: رغم التركيز على الجانب العائلي للزيارة إلا أن مجرد عودة علي أبوزعكوك الذي يعتبر من الشخصيات المعارضة التي ما فتئت تتكلم عن قضايا الحريات والدستور منذ أن كان داخل ليبيا أثناء التدريس بالجامعة الليبية في السبعينيات، ثم بعد أن غادر الوطن وأصبح من المعارضين باسمه الصريح منذ المشاركة في تأسيس (الجبهة) أول الثمانينيات وحتى بعد أن ترك (الجبهة) لاختلافه في وجهات النظر مع الخط الذي كانت تسير عليه. ثم لكونه رئيس مجلس إدارة منتدى ليبيا للتنمية البشرية والسياسية الذي يدعو للإصلاح السلمي، والعمل مع قوى التغيير والإصلاح في الداخل.

هذا كله يجعل الزيارة تحمل في طياتها معالم سياسية نضالية إيجابية تعكس التطور الذي حصل في رؤية النظام للمعارضين وفي منهج بعض المعارضين في التعامل مع النظام.

➢ **أ ل: لا شك أن استقبال الأهل والأصدقاء كان حافلا ومشحونا بالعواطف، ولكن كيف استقبلت من قبل غيرهم؟**

أبوزعكوك: لا يمكنني التعبير عن الشحنة الوجدانية التي غمرتني أثناء عودتي لرؤية وطني بعد هذه الغيبة الطويلة. كما أنه يصعب علي التعبير بالكلمات عن حرارة الاستقبال الذي وجدته من الأهل والأصدقاء. ولا يمكنني أن أنسى التغييرات الديمغرافية والجغرافية الكبيرة التي حصلت أثناء غيابي الطويل عن الوطن والأهل. أما الاستقبال الذي لقيته من قبل الإخوة الكرام الصديق مفتاح كعيبة، والصديق على الريشي، أمين شؤون المغتربين بوزارة الخارجية، وغيرهما من المسؤولين ورجال الدولة والفكر والثقافة فقد كان استقبالا طيبا أنساني ألم الغربة والغيبة الطويلة عن الوطن، فشعرت وكأنني لم أغادر البلاد.

➢ **أ ل: بعد كل هذه السنوات التي قضيتها في الغربة وبعد حصولك على الجنسية الأمريكية... ماذا تعني ليبيا بالنسبة لك الآن خاصة بعد هذه الزيارة؟**

أبوزعكوك: كنت دائما أردد أن غربة الإنسان الحقيقية تكمن في ابتعاده عن الله، فإذا ابتعد المرء عن الله كان في غربة ولو كان في مسقط رأسه. أما إذا كان مرتبطا بالله فسيشعر أينما كان بأن الأرض أرض الله، وأن الناس خلق الله، وسيعيش مع الجميع بنفس رضية ومنفتحة على عمل الخير. والنقطة الأخرى التي أود إضافتها هنا هي أن على الإنسان أن يبحث عن كرامته، فأينما وجدها فذلك هو المكان المناسب له كإنسان. فلقد كرم الله بني آدم، ولا يجب أن يرضى المرء بالعيش في المكان الذي تمتهن فيه كرامته.

والذي أخرجني من وطني ليبيا في السبعينيات كان الوضع الذي حرمت فيه الكرامة. فقد اعتقلت بدون جريمة وبدون وجه حق، فلم توجه لي أي تهمة ولم أقدم للقضاء. وعذبت بدون ذنب ارتكبته حتى أشرفت على الهلاك. وأخرجت من الجامعة (جامعة بنغازي سنة 1976)، ومن قسم الدراسات الإعلامية الذي أسسته، قبل أن أستكمل فيه سنتي الأولى،

رغم كوني عضوا بهيئة التدريس وممثلا منتخبا عن هيئة التدريس بمجلس الكلية وبمجلس الجامعة.

فلك أن تقارن هذا الذي جرى لي في وطني بالمعاملة التي وجدتها في الولايات المتحدة الأمريكية. لقد وجدت الاحترام والتقدير في أمريكا، حيث استكملت دراستي وحصلت فيها على الإقامة، ثم على الجنسية وأصبحت مواطنا أمريكيا لي ما لبقية المواطنين الأمريكيين من حقوق يكفلها الدستور والقانون، وعليّ ما عليهم من واجبات.

المهم أن ذلك الأمر لم ينسني وطني الأم ولا هموم أبناء وطني الأم فالوطن بما يحمله من معاني الأهل والثقافة والتاريخ هو كما يقول الشاعر الشعبي:

والـوطن هـو نـاسي وهـو جـيراني وهـو نبـض قلبـي وهـو زهـا لنظـار
حـــبه وحـــب الله في وجـــداني مـا نيـش مـن الجحـاد والنكـار
إن كنـــهي جريمـــة حـــب وطنـــي راني مجـرم عنـيد انقولهـا باجهـار

أو كالذي قال:

بـــلادي وإن جـــارت عـــلي عزيـــزة وأهـــلي وإن جـــاروا عـــلي كـــرام

فالعودة ـ كما يقول المثل الشعبي ـ هي تحقيق لمقولة "صيور الغريب بلاده". وقد رأيت نفسي في الأجيال الجديدة التي عانقتني وهي لم تعرفني إلا بالسمع أو بمشاهدتي بين الحين والحين على شاشات التليفزيون. ورأيت نفسي وأنا أتجول في شوارع مدينتي القديمة في بنغازي وفي أزقة قرية السواطي وسيدي أحمد الزروق في مصراته. والكتابة عن عودة الطائر إلى وكره ستكون إن شاء الله المجال الذي أحاول فيه استجماع الذكريات وربط الحاضر بالماضي، "والذكريات صدى السنين الحاكي".

➢ **أ ل: هل ممكن تحدثنا عن الاتصالات والحوارات التي يشارك فيها المنتدى مع مسؤولتن ليبيتن ونخب داخل ليبيا؟**

❐ أبوزعكوك: منذ الإعلان عن تأسيس المنتدى في يونيه *2003* ـ الذي كان ثمرة لسنوات عديدة

من الحوار والنقاش بين أعضائه ـ وبعد التجارب الطويلة والغنية التي خاضها الجميع من خلال العمل بأساليب المعارضة التقليدية، توصلنا إلى قناعة بأن الزمن والظروف تتطلب البحث عن مناهج جديدة للتعامل مع الواقع الليبي. وكان من رأي المجموعة أن التدافع السلمي والمنهج الإصلاحي هو المطلوب في هذه المرحلة، وأن هذا المنهج يتطلب التواصل والحوار الموّار مع الراغبين في التغيير والإصلاح وأنصارهما في الداخل. وكانت لعدد من الإخوة في المنتدى علاقات واتصالات وحوارت فردية بحكم الزمالة والصداقة وغيرها سبقت تأسيس المنتدى وكانت تجرى بشكل فردي إلى حد ما. وعليه فقد اتفق الإخوة على مواصلة تلك الحوارات وتأصيلها وتعميقها مع رجالات النظام وكان في مقدمتهم سيف الإسلام القذافي وعدد من المسؤولين، إضافة إلى شخصيات من النخب وأهل الفكر والرأي داخل ليبيا وخارجها.

وكان ديدن هذه اللقاءات والحوارات هو بناء الثقة وإثبات حسن النية والبحث عن مواقع الاتفاق والأرضيات المشتركة، والنظر في كيفية إصلاح الوضع في ليبيا بالوسائل السلمية، وبدون إقحام البلد في صراعات أو شقاق أو فتن "لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"!! والحرص على تفادي الكوارث التي أصابت بعض البلاد الأخرى.

وظل المنتدى ولايزال يدعو الجميع إلى إثبات جديتهم في العمل من أجل مواجهة التحديات والخروج بليبيا إلى مصاف الدول المتقدمة التي تحترم القانون وحقوق المواطن وكرامته. وقد تحققت ـ بحمد الله ـ العديد من الفوائد كنتيجة مباشرة لهذه الحوارات واللقاءات، منها إطلاق سراح عدد من المساجين السياسيين ومن بينهم "مجموعة الجبهة" (الوطنية لإنقاذ ليبيا) المعتقلون سنة 1984، ومعتقلون إسلاميون من الإخوان المسلمين ومن الجماعة الإسلامية المقاتلة وغيرهم.

كما تم طرح ملف مذبحة سجن بوسليم، وكان السيد سيف الإسلام أول من أكد الواقعة رسميا في يونيه 2002 وطالب بالتحقيق فيها، ولايزال الحديث جاريا عن فتح باب التحقيق فيها. إضافة إلى الدعوة لدولة الدستور والقانون والحريات العامة والدفع بالإصلاحات الاقتصادية والإدارية وسياسة الانفتاح وتسهيل عودة المغتربين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يعمل المنتدى على الحوار والتواصل مع نخب المثقفين والمفكرين الليبيين داخل ليبيا وخارجها، وتبادل الرأي ووجهات النظر، والبحث عن أنجح السبل للتعامل مع التحديات التي تواجهها ليبيا اليوم.

➢ **أ ل: كنتم العام الماضي قد ايدتم وطرحتم فكرة "مؤتمر" يشارك فيك ممثلون للتيار الإصلاحي في الداخل والخارج.. فهل لاتزال الفكرة قائمة، وما هو المتوقع من هذا المؤتمر؟ هل لك أن تعطينا فكرة عن حواراتكم مع سيف الإسلام القذافي وهل تسعون إلي مواصلتها؟**

❐ أبوزعكوك: طرحنا رأينا في العام الماضي في الدعوة إلى مؤتمر لقوى الإصلاح الوطني في الداخل والخارج، تجاوبا مع تصريحات صدرت عن سيف الإسلام القذافي في *20* أغسطس *2005*، وأصوات وطنية في الداخل. ووجدنا رغبة عند مؤسسة القذافي للتنمية في العمل معنا من أجل النظر في ذلك. وفي سبتمبر *2005* التقيت بسيف الإسلام في لندن بحضور الدكتور علي الريشي وناقشنا فكرة المؤتمر، وقضايا الإصلاح في الداخل، وكيفية الاستفادة من الخبرات الليبية بالخارج. كما أبلغني سيف الإسلام دعوة والده لي للعودة إلى ليبيا. وتم الاتفاق على مواصلة الاتصال بيننا وعلى النظر في تكليف لجنة تحضيرية مشتركة (أعضاؤها من داخل ليبيا وخارجها) لمتابعة هذا الأمر. ولاتزال الاتصالات مستمرة، ولاتزال للفكرة جاذبيتها رغم أنه من الممكن القول أن الأحداث قد تجاوزت الفكرة المطروحة، حيث أصبح العديد من القضايا يطرح علنا على التلفزة الليبية وكان آخرها الخطاب الذي ألقاه سيف الإسلام في مدينة سرت في العشرين من أغسطس الماضي.

وقد أوضح السيد عبدالرحمن شلقم (أمين الاتصال الخارجي/ وزير الخارجية) في حوار هاتفي معي مؤخرا أنهم ينظرون إلي فكرة المؤتمر نظرة إيجابية وأنهم يرغبون في التعاون مع الخبرات الليبية في الخارج قدر الإمكان.

وقد أصبحنا في المنتدى نشعر أن خط الحوار والتواصل مع الداخل هو الخط الأجدى للعمل. ونحن لانزال نعمل على توثيق الصلة بأهل الفكر والخبرة والرأي للعمل معا من أجل ليبيا الغد.

➢ **أ ل: من خلال زيارتك الأخيرة، ومن خلال "المراجعات" التي يقوم بها العقيد معمر القذافي و "مبادرة الشباب" التي طرحها سيف الإسلام... ما هي رؤيتكم لمستقبل مسيرة الإصلاح في ليبيا؟**

❐ أبوزعكوك: إن ما نراه وما نسمعه يدور على أرض الواقع ينبؤنا أن المنهج الإصلاحي الذي تبنيناه في المنتدى هو المنهج المعول عليه، وهو المنهج الذي نأمل أن يحقق بإذن الله ما نطمح إليه من الانتقال بليبيا إلى مصاف الدول المتقدمة، ومن الانتقال بها إلى مرحلة الدولة الدستورية التي تحقق لمواطنيها العدالة وتتيح لهم التساوي في الفرص للنهوض والارتقاء بأنفسهم وبوطنهم. والقراءات

المتأنية لحوارات العقيد القذافي مع القطاعات المتعددة تبين أن هناك مراجعة حقيقية لكافة الأوضاع في ليبيا، والتي تنبؤنا بأن المستقبل مع التغيير والإصلاح كي تستطيع ليبيا اللحاق بالدول المتقدمة.

وقد بينت العديد من الأطروحات والأفكار التي تناولتها مبادرة سيف الإسلام القذافي التي أطلق عليها اسم "مبادرة الشباب" أن الخط الإصلاحي قد بدأ يشق طرقه داخل ليبيا، والمهم هو متابعة الأمر وتوفير الآليات التي تضمن تحقيق هذه المشاريع الطموحة للانتقال إلى ليبيا الدولة، بما يتطلبه ذلك من مأسسة المجتمع الليبي، وانطلاق مجتمع الحريات الذي يحكمه الدستور والقانون الذي يعيش تحت ظله الجميع، وتتوفر فيه المساءلة لكل المسؤولين والشفافية لكل الأعمال في ظل إعلام حر يمثل بصدق مفهوم السلطة الرابعة (بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية).

➢ **أ ل: ما هي أولويات عملكم في المنتدى في هذه المرحلة؟**

❐ أبوزعكوك: يؤمل المنتدى في الفترة القادمة إلى زيادة طرق التعاون مع العناصر الفاعلة والمؤثرة في الداخل والخارج، وذلك عبر الاتصال المباشر بها، إضافة إلى الاهتمام بتطوير وإثراء وسائلنا الإعلامية للاتصال بالرأي العام الليبي في الداخل والخارج وهي:

موقع (منتدى ليبيا www.libyaforum.org) الذي يقوم على تثقيف الليبيين بقضايا الديمقراطية والحريات العامة والمجتمع المدني.

موقع (الشفافية ليبيا www.transparency-libya.com) الذي يعمل على كشف الفساد العام والممارسات الخاطئة في الحكم والإدارة والمخالفات القانونية وتوثيق القضايا المطروحة بما يتيح للقضاء فرصة ملاحقة المفسدين في البلد.

الموقع الرديف: (أخبار ليبيا www.akhbar-libya.com) الذي يعتبر الصحيفة الإلكترونية المعبرة عن خط المنتدى الإعلامي.

إصدار دورية "المنتدى الليبي" التي أصبحت تطبع وتوزع في عدد من البلدان العربية والغربية والتي نأمل أن نتمكن قريبا من إصدارها وتوزيعها داخل ليبيا.

إصدار "التقرير الإستراتيجي" الذي صدر الأول منه بعنوان "التنمية الإنسانية في ليبيا *2004*" وعدد من الأبحاث والدراسات التي تتناول قضايا حيوية في المجتمع الليبي.